السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤١)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَفِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ

وَحَتَّىٰ أَوَاخِرِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ لَمْ تَكُنِ الخَمْرَةُ قَدْ حُرِّمَتْ تَمَامَاً ، ذَلِكُمْ لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ قَدْ حَرَّمَها بِالتَّدْرِيْجِ!

فَعِنْدَمَا سَأَلوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ حُكْمِهَا ، أَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَهُ : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٩ .

فَقَالَ النَّاسُ : مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، إنَّما ذَكَرَ مَا فِيْهَا مِنْ إثْمٍ ، فَقَالَ : ﴿ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ .

وَبَقِيَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ ، حَتَّىٰ إذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الأيَّامِ صلَّىٰ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ إمَامَاً بِأصْحَابِهِ ـ وَكَانَتْ صَلاةَ المَغْرِبِ ـ فَخَلَّطَ في القِرَاءَةِ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[1] .

وَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ حَتَّى يأتِي أَحَدُهُمُ الصَّلاةَ وَهُوَ مُفِيْقٌ ، ثُمَّ أُنْزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

---

(١) سورة النساء : ٤٣ .

وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) .

فَقَالوا : انْتَهَيْنَا يَا رَبّ! فقال النَّاسُ : يَا رَسُولَ الله! نَاسٌ قُتِلُوا في سبيل الله أَوْ مَاتوا على فُرُشِهِمْ ، كَانُوا يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيسِرَ وَقَدْ جَعَلَهُ الله رِجْسَاً وَمِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ!

فَأَنْزَل الله تَعَالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة : ٩٠ .

(٢) سورة المائدة : ٩٣ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ لَتَرَكُوْهَا كَمَا تَرَكْتُمْ » .

وعندئذٍ حَدَثَ أَمرٌ عجبٌ!!

لَقَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ بِصَوْتٍ عالٍ : انْتَهَيْنَا يَا رَبّ... انْتَهَيْنا يَا رَبّ ، ثُمَّ قَامُوا إلى أوانِيَ الخَمْرِ فَكَسَّرُوهَا ، وَأَرَاقُوا الخَمْرَ في طُرُقَاتِ المَدِيْنَةِ!

* * *

« ... وَهَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِيْ »

كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْها زَوْجَةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ ، فَلَمَّا مَاتَ زَوْجُهَا ، رَاحَ الخُطَّابُ يَتَقَدَّمُونَ إِلَيْهَا .

تَقُولُ رَضِيَ الله عَنْهَا : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيْبهُ مُصيبةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

اللَّهُم اؤجُرْنيْ في مُصِيْبَتيْ ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرَاً مِنْها إلا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرَاً مِنها » .

قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ ، قُلْتُ : أَيُّ المُسْلِمِيْنَ خَيْرٌ مِنْ أَبي سَلَمَة ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَر إلى رَسُولِ الله ﷺ .

قَالَتْ : فَبَعَثَ إليَّ أَبُو بَكْرٍ لِيَخْطُبَنِي ، ثُمَّ بَعَثَ إليَّ عُمَرُ... ، وَأَنَا أرفضُ الزَّوَاجَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ .

ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ .

فَقُلْتُ : قُلْ لَهُ إِنَّ لِي بِنْتَاً وَأَنَا غَيورٌ .

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْها : « أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَها عَنْهَا ، وَأَدْعو الله أَنْ يُذْهِبَ الغَيْرَةَ » .

وَلَمَّا وَافَقَتْ رَضيَ الله عَنْها ، أَمَرَ عَلَيْهِ

الصَّلاةُ وَالسَّلام بِأَنْ يُصْنَع طَعَامُ وَلِيْمَةِ الزَّفَافِ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ ، فَأَكَلُوا تَمْرَاً ، وَسَوِيقاً ، وَسَمْناً.

وَقَدْ عَاشَتْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِيْشَةً هَنِيْئَةً مَرِيئَةً.

وَقَدْ رَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَائِلَةً : في بَيْتِي نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] .

قَالَتْ : فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى عليٍّ ، وفَاطِمَةَ ، وَالحَسَنِ ، والحُسَيْنِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هؤلاء أَهْلُ بَيْتي » .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ أمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ؟ قَالَ : « إِنَّكِ إلى خَيْرٍ ، وَهَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ! » .

* * *

المِيْزَانُ العَجِيْبُ!!

وَعِنْدَمَا شَاءَ الله تَعَالىٰ أَنْ يُلْغِيَ عَادَةَ التَّبَنِّي ، حَيْثُ كَانَ الإنسانُ يَأْخُذُ أو يَشْتَرِي طِفْلاً صَغِيراً ، ثُمَّ يَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُهُ بالتَّبَنِّي ، فَيُوَرِّثُه كَمَا يُوَرِّثُ أَبْنَاءَهُ مِنَ النَّسَبِ!!

وَقَدْ كَانَ يُقَالُ لِزَيْدِ بْن حَارِثَةَ : زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، لأَنَّ الرَّسُولَ كانَ قَدْ تَبَنَّاه ، وَأَمَر

رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَةَ عَمَّتِهِ زَيْنَب بنت جَحْشٍ بالزَّوَاجِ مِنْ زَيْدٍ! وَلٰكِنْ كَيْفَ يَحْدُثُ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنَ المَوالِي ، وَهِي مِنْ أَعْرَق قُرَيْشٍ نَسَباً ؟

لَكِنَّه أَمْرُ اللهِ وَرَسُولِه ، حَيْثُ أَبْلَغَها الرَّسُولُ بِزَوَاجِهَا مِنْ زَيْدٍ ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ : تُزَوِّج ابْنَةَ عمَّتِكَ مَوْلاكَ ؟

فَأَنْزَلَ اللهِ تَعَالىٰ قَوْلَهُ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١) .

عِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَتْ زَيْنَبُ إلى النَّبِيِّ ﷺ تَقول : فزَوِّجْني بِمَنْ شِئْتَ .

قَالَت : فَزَوَّجني مِنْ زَيْدٍ ، فَأَخَذْتُهُ بِلِسَانِي

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

- أَيْ : عَيَّرتُه... فَشَكَانِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : « أَمْسِكْ عليك زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ! » .

ثُمَّ جَاءَ الأَمْرُ الإِلٰهِيُّ بِأَنْ يُطَلِّقَها زَيْدٌ ، وَيَتَزَوَّجَهَا الرَّسُول ﷺ ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِر على الأُخْرَياتِ بِأَنَّ الله زَوَّجَهَا ، وَبِذَلِكَ أُبْطِلَتْ عَادَةُ التَّبَنِّي ، وَفي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا

مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1] .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ـ ٣٧ .

مَا أَكْثَرَ السَّرَايَا..!

وَفـي السَّنَـةِ السَّـادِسَـةِ لِلْهِجْـرَةِ رَكَّـزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على مَسْألَةِ إرْسَالِ السَّرَايا ، وَكَانَ بَعْضُها بِهَدَفِ الدَّعْوَة إلى اللهِ تَعَالى ، وَكَانَ البَعْضُ الآخر بِهَدَفِ رَدِّ عُدْوانٍ مَا.. وَكَانَ الثَّالِثُ بِهَدَفِ قَتْل أَحَد طُغَاةِ اليَهُود ، أوِ المُشْرِكِيْن...

فَقَدْ أَرْسَلَ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ سَرِيَّةَ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ إلى الغَمْرِ ، وَسَرِيَّةَ مُحَمَّدِ ابْنِ مَسْلَمَةَ إلى ذِي القَصَّةِ ، وسَرِيَّةَ أبي عُبَيدة إلى بِلادِ بَني ثَعْلَبَةَ ، وَسَرِيَّةَ زَيْدِ بْنِ

حَارِثَةَ إلى بَنِي سُلَيْم ، ثُمَّ إلى العِيْصِ ، ثُمَّ إلى الطَّرْفِ ، ثُمَّ إلى وَادِي القُرَىٰ ، وَسَرِيَّةَ عَليٍّ إلى بَنِي سَعْدٍ بِفَدَكٍ ، وَسَرِيَّةَ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إلى دُوْمَةِ الجَنْدَلِ ، وَسَرِيَّةَ عَبْد اللهِ بْنِ عُتَيكٍ لِقَتْلِ سَلام بْنِ أَبِي الحُقَيْقِ..

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *